# «الصـــــلاة»

## أسئلة حول الاستجابة والرفض

---

**چورچ إسحق**

مِعمَاريٌّ وباحثٌ غير مُتفرغ في

التُراثِ العَربيّ المَسيحيّ

استمرارًا في تواصلها مع الشعب الإنجيليّ؛ نَظَّمَت الطائفة الإنجيليّة بمِصر يوم السبت الموافق السابع والعشرون من شهر فبراير الماضي، برئاسة الدكتور القسّ. **أندريه زكي**، لقاءً روحيًّا تفاعُليًّا عَبرَ وسيط التواصل الإلكترونيّ ZOOM، وصفحة رئاسة الطائفة بموقع التواصل الاجتماعيّ Facebook، بعنوان **«الصلاة، أسئلة حول الاستجابة والرفض»** وذلك بمُشاركة الدكتور. **ماهر صموئيل** استشاري الطب النفسي، مؤسس خدمة CredoLogos، والشيخ **يوسف ناثان**، رئيس قسم الدراسات اللاهوتيّة في دار الكتاب المقدس، وأستاذ الكتاب المقدس بكلية اللاهوت الإنجيليّة، وأدار اللقاء الدكتور **فريدي البياضي**، عضو مجلس النواب، وعضو المجلس الإنجيلي العام. وبحضور نحو مِائَةِ مُشاركٍ من القيادات، والخُدَّامِ، والرُعاةِ من مُختَلَفِ المُحافظاتِ.

افتتح اللقاء الدكتور فريدي البياضي مُتحدثًا عن ما ارتبط في أذهاننا بالصلاة، من حيث وجوب استجابتها، وزمان تحققها، وكيفيته، مُشيرًا إلى اهتمام الغالبية بهذا الأمر الهام في الحياة المسيحيّة. قدم بعدها البياضي الدكتور القس. أندريه زكي رئيس الطائفة الإنجيليّة بمصر، تلى ذلك مقدمة ترحيبيّة من رئيس الطائفة جاء فيها، تهنئة للدكتور فريدي البياضي لانتخابه نائبًا بمجلس النواب المصريّ، كما رحب بالضيفين الكريمين. وأشار زكي إلى أن موضوع الندوة هو مولود احتياج فعلي في ظل أزمة جائحة كورونا وما خلّفه من آثار وأحزان وتساؤلات أيضًا، وقد اختبر هو شخصيًا وأسرته هذا الأمر فترة إصابتهم بڤيروس كورونا، كما أوضح زكي ارتباط موضوع النقاش بأبعادٍ لاهوتيّة ونفسيّة مختلفة، وما يُثيره من تحدٍ في النفوسِ بأسئلة كثيرة مطروحة في الأمر، وهذا اللقاء ما هو إلا محاولة لتفكيك هذه الأسئلة التي تُرهق أذهان الجميع.

انتقلت بعدها دفة الحديث إلى د. ماهر صموئيل، الذي استهل حديثه بتقديم الشكر للدكتور أندريه زكي، لأجل اهتمامه بتنظيم هذه اللقاءات للتواصل مع الشعب الإنجيليّ، رغم كثرة مهامه وأعباء موقعه، كما طلب صموئيل لأجل سلامة وشفاء البياضي وناثان وعائلاتهما، ولأجل أن يمنحه الله ما لفائدة الحضور. وافتتح صموئيل حديثه باقتباس من إحدى مقالاته التي كتبها عن الصلاة منذ قرابة العشرين عامًا، قال فيه:

> **«إنني لا أرى نفسي قط رجل صلاة، لكنني في نفس الوقت لا أقدر أن أتخيل يومًا واحدًا تُمنع فيه عني الصلاة. قد أُهمِلُ -بغباءٍ- إلقاء نفسي في حضن أبي، لكنني لا أتحمل قط فكرة فقدان هذا الحضن، أو غيابه عني، أو انغلاقه في وجهي. هجم عليَّ مرة هذا الكابوس، وتصورت يومًا فيه ستُمنع الصلاة، فرأيته أسود يومٍ في الحياة. كيف سأقضي يومًا تُمنع فيه الصلاة! كيف سأسلك في دروبه المُتشعبة دون صلاة! كيف سأواجه مُفَاجِئَاته السخيفة دون صلاة! كيف سأعبر مُنحنياته الحادة دون صلاة! كيف أُنهيه بلا إعياءٍ دون صلاة! كيف أأمن عواقبه! ألم يُعلّمنا السيّد أن لكل يومٍ شَرّه، فكيف أنجو من شر اليوم دون صلاة! لكنني موقن -كل اليقين- أنه كان مُجرد كابوس، فلن يأتي يوم فيه أحرم من الصلاة، فبعد أن فتح السيّد أمامي الباب، بعد أن شُقَّ الحجاب، بعد أن رُشَّ الدم على الغطاء، وصار العرش لي، عرش نعمة وليس عرش قضاء، فحتى خطاياي وزلاتي، وتقصيراتي، لن تحرمني أبدًا من الارتماء في حضن أبي، واثقًا أنني سأجد دائمًا منه –مهما كان حالي- كل الترحاب. آهٍ على**

**الصلاة! كم أحِنُّ لإتقانها، وكم أشتاق للغرق فيها؛ فيها يذوب ضعفي كمخلوقٍ في قدرة الخالق، وتُبتَلعُ جهالاتي كإنسان في حكمة الإله، فيها تجد روحي راحتها، تشعر أنها في وطنها، وتتخلص من كل شعور بالتيهِ والاغتراب.»**

وقد وضع صموئيل حديثه في ثلاثة نقاط وهي:

**مو اقف فكريّة خاطئة حول الصلاة**

أشار صموئيل إلى كون مُفردة الصلاة هي مُفردة غير قاصرةٍ على المسيحيّة والمسيحيين، لكنها مُفردة عامة لها العديد من المعاني المختلفة في قرائن مختلفة، لذا فمن الطبيعي أن نجد أنفسنا متأثرين بأفكار حول الصلاة بعضها خاطئ تمامًا. تعرّض صموئيل بالإشارة لبعض هذه المعتقدات الخاطئة في أربعة إشارات لأربعة مواقف جاءت كالتالي:

1- **الموقف الربوبيّ Deism:**

وهو ذلك الموقف الذي نشأ في عصر التنوير، والذي يؤمن بوجود خالق، لكنه لا يؤمن بتداخل هذا الخالق في حياة البشر. فهو قد سنّ للكون قوانينه، وتركه دون تدخل منه (Transcendent but not Immanent). هذا الموقف يستبعد الله تمامًا من حياة البشر، وعلى الرغم من أن الكثيرين من المسيحيين يستبعدون هذا الفكر ، إلا أنهم يحيونه عمليًا في حياتهم اليوميّة، مُعلنين أن اللجوء إلى الله في المُشكلات ما هو إلا ضرب من ضروب العبث والخُرافة، ولا سبيل إلّا العلم والتخطيط والعقل، وهذا ما عبَّر عنه كاتب المزمور الثاني عشر،في العدد الرابع إذ قال: «الَّذِينَ قَالُوا: «بِأَلْسِنَتِنَا نَتَجَبَّرُ. شِفَاهُنَا مَعَنَا. مَنْ هُوَ سَيِّدٌ عَلَيْنَا؟»

2- **الموقف الوثنيّ:**

وهو موقف يؤمن بوجود الإله، ويُصلي إليه، لكن صلاته للإله هي لجلب رضاه، وتجنب أذاه. فما الإله إلّا قوة عظيمة مسيطرة، والصلاة ليست حُبًّا فيه، ولا طلبًا للشركة والتوحد معه، ولا محاولة لفهم فكره، والانفتاح على إعلاناته، إنما طلبًا لرضاه، ودفعًا لغضبه. تجلى هذا الموقف في صلوات أنبياء البعل، إذا كانوا يتضرعون ويتقطعون بالسيوف طلبًا لمعجزة يرجونها. فهل تسرّب هذا الموقف إلى المؤمنين المسيحيين، وبينما هم يعلنون بألسنتهم محبتهم، ورغبتهم في الشركة، يعلنون في صلاتهم وثنيّة فِكرهم؟ يحدث هذا –أحيانًا- بكل أسف.

3- **الموقف القدريّ:**

يُصلي صاحب هذا الموقف إلى الله، لكنه لا ينتظر أي تجاوب منه؛ فالله في هذا الفكر قوة وليس شخصًا مُتفاعلًا، مُتعاطفًا، مُتجاوبًا مع طالبيه. فالصلاة لن تُغير ما قد سطره الله، وسيفعله بغض النظر عن صلاتك. فهل تسرّب هذا الموقف القدري أيضًا إلى مسيحيتنا؟ بكل أسفٍ -أيضًا- الجواب هو: نعم.

4- **الموقف السحريّ:**

وهو موقف يحكمه التفكير السحريّ، وكأن الصلاة تعويذة ما قادرة على فك شفرة من شأنها استجلاب حل مُعجزي عظيم! وهو ما سمَّاه مايكل هورتون «السحر الأبيض». عندما يكون لدينا رغبات معينة، نريد أن نلزم الله بها، فهذا نوع من السحر.

فبينما الربوبيّة تستبعدُ اللهَ، والوثنيّة تشوهُ اللهَ، والقدريّة تُشيُّء اللهَ، والسحريّة تستعملُ اللهَ؛ ما هو الموقف المسيحي الصيح من الصلاة؟

**الموقف المسيحي تجاه الصلاة**

قبل الدخول إلى تفاصيل الموقف المسيحيّ الصحيح من الصلاة، استعرض صموئيل الموقف اللاهوتيّ الشعبيّ –بحسب تسميته- فأوضح أن هذا الموقف يرى أن الصلاة هي مجرد طِلبَات –وهذا أول خطر- تتحق كما طلبناها بقدر قوة إيماننا، أو مدى استحقاقنا، أو حجم لجاجتنا، أو قيمة وسطائنا؛ وعدم تحقق الاستجابة كما طلبناها يعني إما فقرًا في إحدى هذه الأربعة، أو عدم صلاح في الله، أو سخطه علينا لعدم صلاحنا نحن! وكلها تعاليم تحتاج إلى إعادة نظر، وإعادة تدقيق في التعليم المُقَدَّم.

أما عن الموقف المسيحي الصحيح في الصلاة فأفاد صموئيل أن الصلاة في الفهم المسيحيّ الصحيح هي التوجه الروحيّ الجديد من نحو الله، الذي تصير فيه النفس فورًا بمجرد ولادتها ولادة ثانية. هو موقف يسير بالنفس في اتجاه معاكس تمامًا للاتجاه الذي اتخذته النفس للسقوط. إنها توجه قلب ومنهج حياة كل من دخل ملكوت الله. الصلاة هي الترياق من السقوط الذي فصلنا عن الله. حينما طلب حنانيا من الله ألا يرسله إلى شاول لأنه مُضطهِدُ قديسي الله، أجابه الله: «هوذا يُصلي»، في إشارة إلى أن الصلاة هي علامة التغيير الجوهريّة.

وفي تشبيهٍ تمثيليٍّ رسم صموئيل نصًّا دراميًّا لآدم وحواء وقد افتقدهما الله بنعمة الولادة الثانية فورًا بعد سقوطهما في جنة عدن، وسرد صموئيل –ببلاغة أدبيّة رائقة- صلاتهما إثر هذا الحدث، قائلًا على لسانهما:

**«أبانا الذي في السماوات،**
**أنت الخالق للسماوات والأرض،**
**وقد أظهرت صلاحك بوضوحٍ في إعداد**
**الأرض لكي تسكن معنا فيها.**
**لقد أعددت -يا أبانا- الأرض أروع إعدادٍ**
**لتسكن معنا فيها،**
**لكننا لأجل غبائنا صرت أبانا الذي في**
**السماوات!**
**ولم تعد ساكنًا معنا في الأرض.**
**لقد صدقنا الشرير عندما شوه اسمك في**
**أذهاننا،**
**وشككنا في صلاحك وحكمتك.**
**أبعدناك عن أرضنا، وقررنا الاستقلال**
**عنك،**
**فصرت أبانا الذي في السماوات،**
**بينما كان ينبغي أن تكون أبانا الذي في**
**السماوات،**
**وفي أرضنا أيضًا!**
**لذلك يا أبانا نحن نُصلي إليك أن ترحمنا**
**وأن تغفر لنا،**
**وأن يتقدس ويتنزه اسمك الكريم**
**عن كل ما ألصقناه به من تشوهات في**
**أذهاننا.**
**صدقناها بسبب سُم الحيّة التي خدعتنا.**

**عُد إلينا يا أبانا،**
**وليأت ملكوتك في أرضنا.**
**ليأت ملكوتك علينا،**
**وإلى أن يأت ملكوتك بالتمام،**
**وتعود فتسود من جديد في السماوات**
**والأرض،**
**أعِنّا لنفعل مشيئتك في الأرض،**
**فنكون بالحق أبناءك.**
**وإلى أن يأت ملكوتك بالتمام،**
**ويعمّ الشفاء والرخاء،**
**أعطنا اليوم ما يَسُد احتياجنا.**
**أرجِعنا إليك يا أبانا،**
**وأرجِعنا بعضنا لبعض،**
**فتغفر لنا، ونغفر نحن لكل من يُذنب**
**إلينا.**
**واحفظنا يا أبانا من السقوط مرة أخرى**
**في التجربة،**
**ونجنا من المُجرِّب الذي جرّبنا.**
**وفي النهاية،**
**نحن -بحب و اقتناع- نرفض حماقة**
**استقلالنا عنك،**
**ونُقر بأن لك المُلك،**
**والمجد، والقوة إلى الأبد**
**آمين.»**

وفي تلخيص للموقف المسيحيّ من الصلاة قال صموئيل: «في السقوط استقلال عن الله ورفض لملكوته، أما الصلاة فهي العودة للالتصاق بالرب, والاعتماد عليه. في السقوط انسحاب النفس إلى داخلها، لتدور حول احتياجاتها، وآلامها، وأشواقها، أما في الصلاة فتخرج النفس خارج دائرتها، لتتوحد مع الله ومع من حولها. في السقوط فقد الإنسان كهنوته واحتفظ بمُلك زائف، أما في الصلاة فيعود الإنسان كاهنًا مُمثلًا لله، وملكًا يُجري حُكمًا وعدلًا في دائرة كل ما له كلمة عليه.»

**كيف نقبل الاستجابات المختلفة للصلاة**

في هذا الصدد أشار صموئيل إلى رفضه لعبارة «رفض الله الصلاة»، فالكتاب المقدس يشير في مواضع عدة إلى قبول حتى صلاة الأشرار، وكما يذكر بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «... اللهِ الْحَيِّ، الَّذِي هُوَ مُخَلِّصُ جَمِيعِ النَّاسِ، وَلاَ سِيَّمَا الْمُؤْمِنِينَ.» (4: 10)، ويقول سيدنا في إنجيل البشير متى: «فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.» (5: 45). الله لم يحرم نفسًا بشريّة واحدة من مراحمه، سواء طلبت أم لم تفعل.

لكن المسيحي عليه أن ينظر إلى الصلاة نظرة مختلفة، فيفسر الاستجابات المختلفة لصلاته، استجابة صحيحة، وفي هذا قدم صموئيل أربعة قناعات قد تُساعدنا في قول استجابات الله المخالفة لتوقعاتنا، جاءت كالتالي:

1- **الكينونة والامتلاك:**

أوضح صموئيل أنه بينما ينصب تركيز إلهنا على الكينونة، ننصرف نحن للتركيز على الامتلاك. في رسالة الرسول بطرس الثانية والأصحاح الأول يشرح بطرس أن الله في بره وفّى، وتمم وعده وأعطانا إيمانًا ثمينًا، والله في قدرته الإلهية وهب لنا كل ما هو للحياة والتقوى. البر الإلهيّ عمل وعد ووفّى، والقدرة الإلهيّة رصدت لحسابنا وتعطي؛ وبهما وهب –الله- لناالمواعيد العظمى والثمينة، لكي نصير بهما شركاء الطبيعة الإلهيّة.

المواعيد العظيمة والثمينة لا لكي نكون أصحاء بلا مرض، أغنياء بلا فقر، في رفاهية دون معاناة، لكن لكي نكون شُركاء الطبيعة الإلهيّة. قصد الله أن نكون مُشابهين صورة ابنه، كل مواعيد الله هي للكينونة، لا للتملك، وهذا لا يعني أن الله يحرمنا من التملك، لكنه يعكس اختلاف أهدافنا والله.

2- **الداخل والخارج:**

قارن صموئيل بين الإنسان في نظر سليمان الحكيم وبولس الرسول، فينما يرى الأول الإنسان الخارجي، فيصف مثلًا أيام الشيخوخة في الأصحاح الثاني عشر من سفر الجامعة بأنها أيام الشر، إذ يتحلل فيها الجسد؛ يقول الثاني إذ توافق مع نظرة الله للإنسان الداخلي، في الآية الرابعة، من الأصحاح السادس عشر، من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا. لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا.»، وثقل المجد الأبديّ ليس أمرًا نملكه، بل نصيره في الكيان الداخليّ؛ فبينما يتحدث العهد الجديد كله عن كيان داخليّ جديد خلق في المسيح، ويتطور لمشابهة صورته، تُركز دائمًا صلواتنا على الإنسان الخارجيّ واحتياجاته!

3- **العالم الروحيّ والمادي:**

عاد وأكد صموئيل أن الله ليس غير آبهٍ بالعالم الماديّ، إنما جُلّ تركيزه واهتمامه هو العالم الروحيّ، ففي الأصحاح السادس من إنجيل البشير متى، بينما يذكر الله اهتمامه بكل ما للجسد، يقول أطلبوا أولًا ملكوت الله، وأولًا تعني أن هناك أولويّة واهتمام. الله له حكاية يحكيها، وإن لم نحاول أن ننتقل إلى حكاية الله (ملكوته) فإننا سنحاول أن نستعمل الله لنكتب به حكايتنا الشخصيّة!

4- **الأبديّ والزمنيّ:**

«وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.» قد يرى بعض المُصَلّين –بحسب صموئيل- أن إرادة الله تقف عائقًا أمام تحقيق رغباتهم، بينما -في الأصل- إرادة الله هي احتياجنا الحقيقيّ للاختبار والمعرفة. قال فيودور دوستويفسكي: «لماذا نُحدث كل هذه الضجة! لماذا نخدع أنفسنا! ماذا نُريد؟! إننا أنفسنا لا نعرف ماذا نُريد! والحقيقة أننا سنكون أسوء لو أُستُجيبت صلواتنا السخيفة.» ينبغي أن نعرف أننا لم نعلم بعد –كما ينبغي أن نعلم- ما هي حاجتنا الحقيقية. حاجتنا الحققية ليست في صلواتنا لأجل رخاء، أو راحة في تلك الأرض، لكن احتياجنا الحقيقي هو أن نختبر إرادة الله، أن نُركز على ما يُركز عليه الله.

وفي الختام قال صموئيل:

> **«هذا لا يعني قط أن الله لا يهتم بأمورنا الصغيرة، وأن الله لا يهتم بأمورنا الماديّة، لكن دعونا يا أحبائي ألا نحاول أن نوفّق الله على فكرنا، بل نوفّق أنفسنا على فكر الله، فننسجم معه عندما يستجيب لنا طبقًا لتوقعاتنا، أو يستجيب لنا على نقيضها. كانت أحلام إبراهيم أن يحتفظ بإسحق، لكن الرب قال له قدّم إسحق. وكانت أحلام أم موسى أن تحتفظ بموسى، والرب قال لها احتفظي بالولد. إبراهيم قدّم بالإيمان، وأم موسى احتفظت بالإيمان أيضًا. الله ليس دائمًا ضد مشاعرنا ورغباتنا، لكن له مشيئة صالحة قد تتفق مع مشاعرنا، وقد تتعارض، فعلينا أن نوفّق مشاعرنا لتتفق مع إرادة الله، وليس العكس.»**

ثم انتقل الحديث إلى الشيخ. يوسف ناثان، والذي بدأ بتقديم الشُكر للدكتور القس أندريه زكي، والدكتور ماهر صموئيل، وأشار أن حديثه سيكون على الناصية المقابلة لحديث صموئيل. فبينما تحدث صموئيل من الزاوية الإلهيّة، وتحت مظلة ماذا يريد الله منا؟ جاء حديث ناثان على الناصية المقابلة له وهي الزاوية الإنسانية، وتحت مظلة الاحتياج والألم الإنساني، والحيرة بين صلاح الله وغياب الاستجابة. افتتح ناثان حديثه بإلقاء الضوء على أهمية الطِلبة، وضرورتها، وتوصية الكتاب برفع الطِلبات، وأيضًا بحاجتنا إليها في وسط هذا الاحتياج العام، والوباء الخطير، فهل من الممكن ألا نُقدِّم طِلباتنا برغم كل هذا؟!

واستهل ناثان حديثه بقراءة كتابيّة من إنجيل البشير لوقا والأصحاح الرابع تقول: «وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «عَلَى كُلِّ حَال تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ :أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ! كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَافْعَلْ ذلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ» وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ. وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا، وَلَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، إِلاَّ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، إِلَى صَرْفَةِ صَيْدَاءَ. وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ.» فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا،

فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. 30 أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.» (لو 4: 22- 30)

وعلق ناثان على عدة أمور في هذا النصّ، أولها: أن الناس تحتاج إلى تحقيق رغباتها وطِلباتها ع23؛ وثانيها: أن الضيقة إما أن تكون احتياجًا شخصيًّا، أو أزمة عامة على كل المجتمع كالوباء الراهن؛ وثالثها: أننا قد نغضب ونحقد على أولئك الذين استجاب الله طلباتهم، بينما لم يستجب طلباتنا نحن؛ فبينما نتوقع جميعنا أن كل أولئك البُرص والأرامل من شعبه قد ضرعوا إلى الله طالبين نجدته، وقد امتنع الله عن استجابة طلباتهم، نجده قد أجاب طلبة الأمميين، وهو ما قد يدعونا للدهشة، والحيرة والتساؤل، لماذا يارب؟! وربما هو ذات ما نود أن نفعله حالًا ونحن نقرأ النصّ، أو نستعرض الحالة الآنيّة، التي تُرفع فيها الطِلبات لا لأجل رفاهية وغنى وراحة، بل لأجل إنقاذ من احتياج وخطر.

ثم تحوَّل ناثان إلى محاولة لتجسيد إجابة يسوع على هذا السؤال المُحير في عدة نقاط:

1- **ليس لنا أن نُحدد ما ينبغي أن يفعله الله:**

وهنا أشار ناثان إلى خلط الأدوار الذي نقع فيه، فأننا ينبغي أن نعلم أننا لا نستعمل الله فنُملي عليه رغباتنا، ونُشير عليه ماذا يفعل، وما هي الأولويّة التي عليه اتباعها.

2- **تعاملات الله شخصيّة لا يجب تعميمها:**

في هذه النقطة أوضح ناثان الخطأ الشائع الذي يقع فيه أغلبنا، وهو تعميم التجربة الشخصيّة على المجموع، فما جرى مع الأخوة الآخرين من معجزات مثلًا لا يعني بالضرورة أن المعجزات هي الصورة الرسمية لاستجابة الطِلبة، وإلا فإن في الأمر شيء.

3- **مقاييس الله لا تخضع لمقاييسنا البشريّة:**

إن تعامل الله مع طلباتنا وصلواتنا يخضع في الأساس لمقاييس الله، ومن الخطأ المنطقي محاولة إخضاعه لمقاييسنا الشخصيّة. حكمة الله ترى الأفضل لنا، وتعمل خارج حدود المألوف والمتوقع لنا، هذا يجب أن يكون مضمون ثقتنا وتسليمنا لله، وليس استسلامنا، فنحن نذهب لله عن ثقة، لا عن يأس. وفي هذه النقطة أشار ناثان إلى أن الإشكالية الكبرى لدى المؤمنين هي في تصورنا لله، وليس في عقيدتنا في الله، وبهذا الصدد أشار إلى كتابين وهما «ما أصغر إلهك» ج.ب. فيليبس- منشورات النور 1990م، و«لا أومن بهذا الإله» خوان أرياس- بيروت: دار المشرق؛ إذ قد ساهما مُساهمة بليغة في تفنيد تلك الصور المغلوطة عن الله الذي نؤمن به. وقد تضامن ناثان مع صموئيل في قوله أن التعليم الصحيح هو السبيل الوحيد لتصحيح الصور الخاطئة عن الله؛ كما أشار ناثان إلى مفتاحيّة الطلبة المدرجة في الصلاة الربانيّة «لتكن مشيئتك» إذ ينبغي لنا أن نعي أننا لا نقولها في يأس وقلة حيلة، إنما في ثقة، مُتبعين في هذا مثالنا شخص ربنا يسوع المسيح، الذي في أصعب الأوقات قبل الصليب، كانت صلاته «لتكن مشيئتك». واختتم ناثان حديثه في هذه النقطة مُشيرًا إلى أن قبولنا لمشيئة الله في حياتنا مرهون بتبنينا هذه المشيئة لتُصبح مشيئتنا نحن، فنقبلها ونسعى لتتميمها بفرحٍ.

وفي ختام حديثه قال ناثان: « لو أن ابني في عمر الخامسة، كان يأتيني كل يوم طالبًا لعبته المفضلة، سأكون سعيدًا جدًا أن أهديه لعبته، التي في الأساس قد اشتريتها لأجله، فأنا قد تحملت كل هذا العناء لأجل أن أجيب هذه الطلبة له. لكن إذا ظل

ينتظر ابني نفس لعبته في عمر الثانية عشر، فحتمًا لأن أكون سعيدًا بهذا، لأنه لا ينتظرني أنا، بل لعبته. أما عندما يصبح في الثلاثين من عمره ومازال ينتظر اللعبة لا أبيه، فالأمر أصبح مؤلمًا ومؤسفًا.» هل نستطيع أن نقول لله: «نحن لا نُريد شيئًا سِواك؟».

تلى ذلك فترة من الأسئلة، أُستهلت بشكر من أحد الضيوف للدكتور ماهر صموئيل، وإشادة بتجربة اللقاء، ثم وجهت ثلاثة أسئلة للدكتور ماهر صموئيل دارت جميعها في إطار واحد هو:

**س: هل شرط استجابة الصلاة هو تو افقها مع توقيت الله؟**

أجاب صموئيل: أعتقد أن السؤال عن أزمنة استجابة الصلاة من الممكن أن يندرج تحت تعليم الرسول بولس في الأصحاح الثامن، من رسالة رومية إذ يقول: «لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي.» إذ يُشير الرسول هنا إلى محدودية إدراكنا للطلبة التي ينبغي أن نطلبها، وهو بالقياس ما يجعلنا نقر بمحدوديتنا في إدراك الزمن الصحيح لاستجابة الصلاة. مزمور 102: 13 يقول: «أَنْتَ تَقُومُ وَتَرْحَمُ صِهْيَوْنَ، لأَنَّهُ وَقْتُ الرَّأْفَةِ، لأَنَّهُ جَاءَ الْمِيعَادُ.» فهناك ميعاد لاستجابة الله لصلواتنا. الرب احترم رغبة موسى في خلاص شعبه، ويذكر لنا كاتب العبرانيين: «بِالإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مُفَضِّلًا بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ» (عب 11: 24-25) هذا الحجم الضخم من التكريس الذي دفعه للتضحية بالقصر ليُذل مع شعب الله، لم يكن يكفي ليكون مُخلصًا لشعبه، لأن الميعاد لم يكن قد جاء، لكن بعد أربعين عامًا، وحينما كان موسى لا يشعر أنه أهل لهذه المهمة جاء ميعاد الله؛ لذا أقول أنه نعم مواقيت تختلف عن مواقيتنا، وهو دائمًا يرى الأفضل، وإلى أن يأتي ميعاد الله علينا أن نقبل معاملات الله التي تؤهلنا لزمان ميعاد الله.

وقد طلب صموئيل الثبات والتعزية لسائلة قد حكت عن تعرضها للإصابة بڤيروس كورونا لمرتين متتاليتين، إلى جانب تعرضها لتعليقات موجعة من بعض الأصدقاء تعليقًا على هذا الأمر، وذكّرها صموئيل بأصدقاء أيوب، وبثبات رجائه. وعن مداخلة ثالثة شبّهت الصمت الحالي بصمت السماء قديمًا لأربعمائة عام، أفاد صموئيل أن التشبيه غير دقيق، فالصمت قديمًا كان صمتًا عن الوحي وليس عن التعامل مع الإنسان، ففي ملاخي 3: 13-16 يخبرنا الوحي أن الناس تكلموا إلى الله، بالباطل وبالحسن، والله سمع وأصغى وكتب، وهو ما يؤكد إيجابيّة الرب الدائمة.

وفي سؤالين آخرين للشيخ يوسف ناثان، أفاد الأخير:

**س: هل معنى كلامك أن الإنسان في انتظاره عمل الله –حسب ما يريده الله- أنه مُصَيّرٌ، دون إرادة؟**

أجاب: إن افترضت أننا أمام خيارين، أن نصنع مشيئة الله، أو أن نصنع مشيئتنا، فهل سأجد مؤمنين لا يصنعون مشيئة الله؟ بكل تأكيد نعم، والعكس صحيح. المؤمنين الذين لا يلجأون إلى الله، ولا يتمتعون بعلاقة يوميّة معه، هم أفقر الفقراء، حتى وإن كان لهم أعظم النجاحات الزمنيّة، لأن مقاييس العالم تقريبًا عكس مقاييس الله؛ لذلك فنحن نرى مدى ابتعاد البعض داخل الكنائس عن مقاييس الله في التكريس. الله لن يُجبرنا على شيء، فلنا كل الصلاحيّة في اختيار أن نعيش لله أو لا، لكننا أيضًا لن نُجبره على تغيير مشيئته لتوافقنا. كيف يضع المسيح نفسه تحت الإلزام «ينبغي» بينما تكون طلبتنا أن نحرر أنفسنا من تكريسنا!

**س: هل الصلاة حالة، أم موقف؟**

الصلاة هي حالة علاقة حيّة، أرفع فيها قلبي إلى الله في أي مكان، دون شرط لهذا المكان؛ تمامًا كما فعل نحميا وهو أمام الملك. لا تحتاج الصلاة أن أكون في الكنيسة أو المخدع، فالصلاة قلب مشتاق أن يسمع الله، وأن يسمعه الله. الصلاة كما أعرفها هي ذلك الحوار المتبادل بيني وبين الله.

**س: هل الصلاة تُغير طُرُق الله، كما حدث في قصة الملك حزقيا؟**

أجاب صموئيل: لا إجابات قاطعة لدي حول هذا الأمر، لكنني أتسائل هل كان الله يجهل صلاة حزقيا قبل أن تكون؟ بالطبع كان يعرف، وهل كان لزامًا عليه أن يُطيل عمره؟ أعتقد هذا، إذا أن الخمسة عشرة عامًا التي زادها الله في عُمر حزقيا هي ذاتها التي ولد فيها منسى، وتسنى استكمال النسل الملكيّ، الذي جاء منه المسيح في النهاية. قال أحدهم: «إن الله الذي رتب التاريخ، أعطى المؤمنين أن يصلوا صلوات تصنع التاريخ.» فالصلاة مُهمة جدًا، والله عمل في إرادتهم ليعملوا معه في صناعة التاريخ. أما بخصوص تغيير الله لخطته، فلا أستطيع أن أجيب على هذا التساؤل إجابة حاسمة، لكن في حالة حزقيا يمكنني أن أعتبر ما جرى معه نوعًا من المعاملات الروحيّة التي دفعه الله من خلالها للصلاة. في دراسة أجريتها على حياة حزقيا من جهة التأريخ، وجدت أن التدوين لم يجري بترتيب تاريخيّ منضبط، لكن الترتيب الروحي جرى كالتالي: وصل حزقيا إلى مرحلة رائعة من الاتكال على الله، حتى سطر عنه الوحي أنه لم يكن مثله –من قبل أو بعد- اتكل على الرب، فَاغتنى جدًا، لكن لما جاء عليه ملك آشور حاول أن يُنهي القضية برشوته بالذهب مرات عديدة، وفي هذا كله لم يُصَلِّ حزقيا، لكن حينما سمح الله له بالمرض والألم، تغير حزقيا تغيرًا رهيبًا من خلال تدريب الرب له؛ لذا فاعتقادي أنه ربما تكون هناك مجموعة من التدريبات الروحية،لكن لا يمكن اعتبارها تغييرًا في طرق الله.

**س: هل يجب علينا حينما نُصلي آملين في أمرٍ ما، ألا نشجع الآخرين على المشاركة، إذ لا نضمن استجابة الله؟**

أجاب صموئيل: إن كنا سنشجع الآخرين على الصلاة طمعًا في تحقيق الاستجابة التي نرجوها، فهذا أمر خاطيء تمامًا. التشجيع أن نقترب إلى الرب، أن ننتقل من حكايتنا إلى حكاية الرب، أن نختبر التعلّق بالرب.

**س: ماهي معايير قبول وتأثير اللجاجة في الصلاة؟**

أجاب ناثان: لنا أن نراجع قصة قاضي الظلم، وهو المثل الوحيد الذي ترد فيه لفظة اللجاجة في العهد الجديد. اللجاجة هنا تعلمنا عن التصميم، وعدم الفشل؛ فإن كان هذا هو الحال مع قاضي الظلم، فكم بالحري مع الله السامع لمختاريه الصارخين إليه. إنجيل لوقا هو أكثر الأناجيل التي تعلمنا عن منهاج صلاة المسيح، لذا فأنا أنصح من يريد أن يتعلم الصلاة بدراسة إنجيل لوقا وسفر أعمال الرُسل. اللجاجة مطلوبة، وتأكد أن الأمر هام وخاص ولا يمكن التنازل عنه، إلى أن يستجيب الله حسب إرادته.

**س: لماذا نطلب من الآخرين مشاركتنا في الطلبة، هل العدد يصنع فارقًا؟**

أجاب ناثان: سفر الأعمال يسجل لنا اثنتي عشرة حالة من الصلاة الجماعيّة، ومثلها من الصلوات الفرديّة، وخمس صلوات ثنائيّة؛ الأصحاح الثاني عشر من سفر أعمال الرسل يشرح لنا الصلاة الجماعيّة، وكيف أنها فرصة لتوحيد الجماعة وللتعلّم أيضًا، الأمر أعمق من المزايدة العدديّة.

**س: كيف أفرق بين تأخر الاستجابة والرفض؟**

أجاب صموئيل: لا أتوقع أبدًا أن الله يرفض صلاة تتوافق مع كلمته ومشيئته، لذا دعونا لا نفترض أبدًا أن الصلاة مرفوضة إلى أن يثبت العكس، فلا داعي للقفز إلى نتيجة أن الله رفض الطلبة. منتظرو الرب يجددون قوة، وربما في انتظاري يقنعني الرب بعكس ما كنت أطلبه. الانتظار هو فترة عظيمة لامتحان النفس. رجل الله ليس هو من يُجبر الله على شيء ما، لكنه هو الذي يطور نفسه في الانتظار ليُدرك مشيئة الله.

وفي الختام شكر البياضي الرب لأجل الفرصة، كما شكر د.ق أندريه زكي، والدكتور ماهر صموئيل، والشيخ يوسف ناثان، وفريق العمل بالهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات. واختتم د.ق أندريه زكي الفرصة بالصلاة، وشكر المتكلمين والحضور.